أخلاق الحيوان عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)
دراســة في الأخــلاق التطبيــقيــة

زينب السـيد عبدالله قطـب*
zea11@fayoum.edu.eg

ملخص

الحيوانات كائنات حية لديها نفوس تحس وتشعُر وتتألم مثلها مثل الإنسان وتتعاطف مع غيرها، لها عالمها الخاص بها ولُغتها التي تتواصل بها مع غيرها من الحيوانات الأخرى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾(سُورَةُ الأَنْعَامِ : ٣٨). وتأسيسًا على ما سلف، فإن هذا البحث يُسلط الضوء على قضية من أهم القضايا الفلسفية في الأخلاقيات البيئية اليوم، بل في الفكر الفلسفي التطبيقي المُعاصر، ألا وهي كيفية مُعاملة الحيوان مُعاملة أخلاقية يسودها الإحسان إليه والرفق به، بعد أن تمادى الإنسان في إخضاع الحيوان للتجارب التي لا تُراعي حُرمة هذا الجسد، وتُهدد وجوده.

وبالرغم من أن مثل هذه القضايا تُعد من القضايا الفلسفية المُعاصرة، والمُثيرة للجدل في الفكر الأخلاقي التطبيقي إلا أنها نوقشت مُنذُ زمن بعيد، ومن قبل الحركات الفلسفية المُعاصرة والجمعيات الحقوقية التي تُطالب بحقوق الحيوان ومُساواته بالإنسان، وقد كان للإسلام فضل السبق في وضع التشريعات الدينية والأخلاقية الخاصة بحقوق الحيوان، واتبع المُفكرون المُسلمون تعاليم الدين الإسلامي لإبراز حقوق الحيوان ومنهم الجاحظ فقد اهتم بدراسة الحيوان والمُطالبة بحقوقه.

يعد الجاحظ(٧٧٥– ٧٦٨) من أوائل علماء الكلام –أديب فرقة المعتزلة– الذين اهتموا بالبحث في عالم الحيوان وكشف أسراره ، وقدم أول موسوعة علمية عربية في علم الحيوان وهو" كتاب الحيوان" ، أعطى للحيوان فيها مكانة كبيرة وبحث في سلوكه وفضائله مقارنا بينه وبين سلوك الإنسان في كثير من الأحيان. إلا أن البحث عن حقوق الحيوان أخذ منحى مختلفا عند الجاحظ ، لأنه كان يرى أن للحيوان سلوكيات أخلاقية وفضائل يمارسها الحيوان مع الآخر سواء كان الآخر إنسان أو الحيوان الذي يعيش معه، فقد دعا إلى ما يعرف بأنسنة الحيوان، أو أخلاق الحيوان ليبين مكانة الحيوانات في هذا الكون، ويثبت أن للحيوانات حقوق يجب مراعاتها في معاملته، ومن ثم يوصى الإنسان بالرفق والإحسان لهذه الكائنات.

الكلمات المفتاحية: الأخلاقيات البيئية – حقوق الحيوان– أخلاق الحيوان– الجاحظ

* مدرس مساعد بقسم الفلسفة ـ كلية الآداب – جامعة الفيوم.

مقدمة

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) مُتكلم ولغوي وعالم طبيعي وأديب ومؤلف قلما يجود التاريخ بمثله، إن الجاحظ مُتكلم مُسلم مؤمن يُدافع عن إسلامه وإيمانه بكُل ما اوتي من قوة في قلبه وعقله وفكره ضد كُل من يُحاول الغضّ من شأن الإسلام وعقائده، كُل ذلك بأسلوب علمي رصين، وقُدرته على استخدام المنطق السليم والبُرهان العقلي الصحيح، من أجل ذلك عُدّ الجاحظ شيخ المُتكلمين(١).

ومن أهم مؤلفاته في عالم الحيوان (كتاب الحيوان) وهو يُعد موسوعة علمية باعتباره أول كتاب في التُراث العربي جامع في علم الحيوان، وقد كان قبله وفي عصره مُحاولات شتى لطائفة من العُلماء، يتحدثون فيها عن الحيوان مثل: السجستاني، والأصمعي، ابن قتيبة، وابن الأعرابي، ولأبي عبيدة، ولكن هذه المُحاولات لم تؤلف للقصد العلمي الخالص، إنما أُريد بها أن تكون باحثةً في اللغة أولًا، فهي بمثابة مُعجمات لغوية خاصّة بما أُلفت له، فهي لا تبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثًا، ولا تعني بدقائقه وغرائزه وأحواله وعاداته، وإنما تجعل همها الأول والثاني هو اللغة، وقد يكون منها أن تبحث البحث العلمي، ولكن على سبيل الاستطراد ومُشايعة القول(٢).

فقد حاول في كتابه تصنيف المملكة الحيوانية، البحث في طبائع الحيوان وأخلاقه وعاداته وأنواعه وأجناسه ووصف سلوكه وخصائصه وطُرق عيشه وفوائده وتعامُله مع الإنسان، فالكتاب يُعد سفرًا في مجال علم الحياة أو بيولوجيا الحيوان، ويدُل على سعة إطلاع الجاحظ ودقة مُلاحظته وبراعته في الوصف الدقيق لكُل أجزاء الحيوان وما يتعلق به.

ونتيجة للحضور العلمي في الكتاب، اعتمد الجاحظ على المنهج التجريبي في الوصول إلى الحقيقة، فالتجربة والاستقراء والمُلاحظة منهج الجاحظ، ما جعله يؤكد نظريات من سبقوه وينفي ويُخطئ بعضهم لأن التجربة تؤكد ذلك، هذا ما جعل الجاحظ أو علماء الحيوان التجريبيين يمتازون بدقة المُلاحظة، عميقون التفكير في وصفه للحيوان، بالإضافة إلى الجانب العلمي الذي يحتويه الكتاب فقد تضمن مادة أدبية وتاريخية توحي بموسوعة الجاحظ وإلمامه بالعديد من فنون العلم والمعرفة، فقد وضح

فيه أحوال العرب وعاداتهم وعلومهم، فقد يوهم اسمه أنه قد خصص فقط للحيوان، لكن الحق يُقال أن الكتاب قدم صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المُتشعبة الأطراف(٣).

أما في اللُغات الأُخرى، فقد عُرفت مؤلفات سبقت الجاحظ في التأليف لعلم الحيوان، قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم الحيوان، "وفيه كُتب قديمة وإسلامية: منها كتاب لديمقراطيس، ذكر فيه طبائعه ومنافعه، وكتاب الحيوان لأرسطاليس، تسعة عشر مقالة، نقلها ابن البطريق من اليونانية إلى العربية، وقد يوجد سريانيا نقلًا قديمًا، أجود من العربي، ولأرسطو أيضًا كتاب في نعت الحيوان الغير الناطق، وما فيه من المنافع والمضار"، وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ، ومُختصره لأبي القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر المتوفي سنة (٨٠٦) وللموفق البغدادي أيضًا(٤).

استقى معلوماته من تجاربه العينية والقراءات النظرية، بالإضافة إلى الاعتماد على معارف الأعراب الذين برعوا فيها كُل براعة، بالإضافة إلى اهتمامه بالشعر العربي، وما نظم الأعراب في الحيوان من شعر، كما اتكأ على أقوال أرسطو(٥).

أولًا- أخلاق الحيوان بين الإنكار والإقرار:

في البداية يبدو الموضوع مُثيرًا للجدل فكيف يكون حيوان ولديه أخلاق، وكيف يُحكم سلوكه حتى يكون سلوك أخلاقي أو غير أخلاقي، والتحكُم في السلوك يرجع إلى قوة الإرادة أي يرجع إلى العقل القادر على التفكير وتدبير الأمور، فكيف نوصف سلوك الحيوان بصفات أخلاقية سواء خير أو شر؟ ومن المعروف أن القواعد الأخلاقية تحكُمها قوانين يُحددها المُجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، إذن فكيف يمتلك الحيوان القواعد الأخلاقية التي تحكُم سلوكه؟ وهو ليس لديه العقل الذي يتفرد به الإنسان دون غيره، فما هو الذي يحكُم سلوك الحيوان عند الجاحظ؟ مثل أن العقل في الإنسان هو الذي يحكُمه، هل الغريزة التي فُطر الحيوان عليها هي التي تحكُم سلوكه ؟

يُعتبر الحيوان من بين الكائنات الأقرب للإنسان، لأنهم يشتركون في البنية التشريحية والآليات الفسيولوجية، وتحديدًا أن للإنسان والثدييات أجهزة عصبية مُتشابهة جدًا، ويؤكد علم الأحياء التطوري على حقيقة علمية ألا وهي أن فكرة الاختلافات ما بين الأجناس هي اختلافات في الدرجات لا في النوع – تدعمها مجموعة كبيرة من

القُدرات الإدراكية والشعورية في مُختلف الأنواع، ومن ثم لا توجد فجوة أخلاقية بين الإنسان وغيره من الحيوانات، وأن التصريح بأفكار من قبيل (الأنماط السلوكية التي تتجلى عند الذئاب والشمبانزي ما هي إلا لبنات منظومة الأخلاق البشرية)[٦].

ومن ثم، إن مسألة أن الحيوانات لديها وعي معرفي تستطيع من خلاله التحكُم في سلوكها حتى يوصف بانه سلوك أخلاقي أو غير أخلاقي، مسالة مُعقدة ومُثيرة للجدل، تتعدد فيها الآراء واختلف حيالها الباحثين، وانقسموا إلى فريقين يُمثلان اتجاهين مُتباينين: الأول، يرى أن هُناك أخلاقيات عند الحيوان كأخلاق الإنسان سواء بسواء، فهو مُهيَّأ بجميع مُميزات البشر العقلية[٧]، والثاني، يرفض هذا الاتجاه ويُقصر القيم على الإنسان وحده دون سواه من أنواع الحيوانات الأُخرى، ويرى أن الحيوان مُجرد من الوعي أو العقل.

فالفريق الأول يُغالي ويتطرف في نُصرته للحيوان، فلا يكتفي بأن ينسب إلى الحيوان أخلاق البشر بل تراه يصفه بفضائل يُحرم منها الإنسان نفسه، فعلى سبيل المثال يذهبون إلى أن الكلب أوفى من الإنسان، فهو لا يغدُر بك، ولا يخونك، ولا يحسدك على ما لديك من نعم كما يفعل الإنسان مع أخيه الإنسان، **والفريق الثاني**، يُقلل من قيمة ومكانة الحيوان، ويُجرده من كُل شيء حتى أنه يُساوي بينهُ وبين الآلة المُجردة من أي شعور أو حس، ويُشبهُ بالجماد.

ولكن إلى جانب هذين الفريقين، هُناك من يُناصر الحيوان ويُدافع عنه وعن أخلاقياته لكن بصورة اكثر اعتدلًا من المُتطرفين السابقين، إذ ينسب للحيوان فضائل كثيرة لكُنه يعترف في الوقت نفسه برذائله أيضًا، أُعني أنهُ يذهب إلى أن الحيوان، كالإنسان تمامًا، لهُ سلوكه الأخلاقي بكُل ما تحمله الأخلاق من فضائل ورذائل، وخير وشر[٨].

ولقد وجدت هذه الصورة في الحضارة الإسلامية، حيث اهتم العُلماء المُسلمين بعلم الحيوان وبدراسة سلوكه، وضرورة الرفق به لأنهُ كائن حي له عالمه الخاص به، وأسرار عديدة يذهل الإنسان منها، فالحضارة الإسلامية تتعامل مع الحيوانات بصورة أكثر وسيطة.

ولعل أكبر نصير للحيوان في تُراثنا العربي هو الجاحظ الذي ألف كتابًا ضخمًا يحمل اسم "الحيوان"[٩] كما سبق أن ذكرنا، فهو من أهم المؤلفات التي اهتمت في التُراث العربي بالحيوان ودراسة سلوكه والدفاع عن حقوقه وذكر فضائله، من ثم يُعتبر من رواد المؤلفين العرب في عالم الحيوان الذي بَيَّنَ فضائل الحيوان بصورة وسيطة لا مُغالاة ولا تفريط.[١٠]

وللجاحظ فضل السبق في مجال دراسة الحيوان وسلوكه وتعامُلاته مع الحيوانات الأُخرى، وذكر فضائله ومحاسنه سواء إن وصف فعله بالخير أو الشر، أعطى مكانة كبيرة للحيوان وأوجب عدم إهانته وضرورة الرفق به لأنه كائن يحس ويشعُر ويتألم مثل الإنسان، بل وصفه بصفات يتشابه فيها مع الإنسان.

والواقع أن علم نفس الحيوان علمً جديد، إلا أن الجاحظ ألف كتاب الحيوان في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، وهو يتضمن مُلاحظات كثيرة يُمكن عده بذورًا وأصولًا لهذا العلم الحديث.[١١]

ثانيا– فضائل ورذائل الحيوان:

على الرغم من إسهام المُسلمين في حقل الحيوان إلا إنه لم يأخذ حقه مثل إسهامهم في بقية العلوم، إلا أن لهم آراء سبقوا أفكار بعض المُحدثين؛ فعلى سبيل المثال تُنسب نظرية التكافُل أو المُشاركة الحيوانية التي تعيش في بيئة مكانية واحدة، قد يربط بينها نوع من المصلحة المُشتركة ؛ لذا تنشأ بينها مودة، كأن يحط طائر البقر فوق البقرة ليلتقط منها الهوام، أو كان يُنظف طائر التمساح مما علق بها من بقايا اللحوم.

فالجاحظ يقول: إن بين العقارب والخنافس مودة، والغُراب مُصادق للثعلب، والثعلب صديق للحية، وهُناك عداوة بين العُقَاب والحية، أما الدميري فيؤكد على أن بين الضب والعقرب مودة، وأنها تعيش في حجره لتحميه من الأعداء، فمن حاول التحرُش به ودخل حُجره، سيجد العقرب مُستعدة للسعه[١٢].

ومن الحقائق المُستجدة في الفكر المُعاصر، أن الحيوان لا يعيش فقط باحثًا عن تلبية غرائزه الصادرة عن اللاوعي، إنما للحيوانات أيضًا سلوكيات إيثارية وعاطفية مُدهشة يكشف عنها علم الايثولوجيا (علم دراسة سلوك الحيوانات في موئلها الطبيعي)،

فالحيوان يتوافر لديه مجموعة من المشاعر الوجدانية كالإحساس بالتعاطُف تجاه الحيوانات الأُخرى والعدالة والغفران وهذه المشاعر يُمكن تسميتها بالأخلاق، فالحيوان لديه حس أخلاقي، ولكن تختلف الاخلاق الحيوانية في درجتها لا في نوعيتها عن الأخلاق البشرية(١٣).

استطاع الجاحظ أن يكشف في موسوعته العلمية عن الحيوان قبل ذلك بكثير من الزمان، أن الحيوانات تمتلك الشعور والإحساس بالألم، كما أن لها مجموعة من العواطف الوجدانية التي تتصرف بُمقتضاها مع غيرها من الحيوانات، بما فيها من قيم الحُب والعدالة والتعاون مع غيرها من الحيوانات، فيصف الجاحظ لنا التمساح وصفًا بديعًا من خلال علاقته بأحد الطيور وتعاونه معه، فيقول: (وأي شيء أعجب من طائر ليس له رزق إلا أن يُخلل أسنان التمساح، ويكون ذلك.....)(١٤). وهذه مُشاهدة صادقة معروفة عن تمساح النيل، والطائر اسمه (الزقزاق المصري)، وقد أخذ يقل ويندُر من مصر بعد اختفاء التمساح منها(١٥).

كما يذكُر الجاحظ فضيلة حُب العصافير لصغارها وحنانها عليهم، فلا يوجد في الأرض طائر أحنى على ولده ولا أشد تعطُفًا من العصفور، والذي يدلُّ على أن في طبعها من ذلك ما ليس في طبع ما سواها من الطيور – الذي تجد من إسعاد بعضهن لبعض(١٦).

ويسوق الجاحظ مشهدًا حيًا تبُرز فيه هذه الفضيلة واضحة وهو الموقف الذي تُهاجم فيه الحية صغار العصافير وما ينتاب الأُم من ذُعر وهلع وخوف: "يري العصفور الحية قد أقبلت نحو جحره وعشه ووكره"، لتأكُل بيضه وفراخه فيصيح ويرنق فلا يسمع صوته عصفور إلا أقبل عليه، وصنع مثل صنيعه يتحرق ولوعة وقلق واستغاثة وصُراخة، وربما أفلت الفرخ وسقط إلى الأرض، وقد ذهبت الحية فيجتمعن حوله... إلخ، ويُشير الجاحظ هُنا إلى حُب العصافير لصغارها من ناحية وما بين بعضها البعض من مُشاركة وجدانية كُلما ألمَّ بها حادث أو صادفها مكروه(١٧)!

كما يصور لنا الجاحظ هذه العاطفة أيضًا في لحظة أخذ الإنسان لأحد من عصافيرها فهي تُحاول بكُل الطُرق أخذه مهما عرضها الأمر من خطر، فيقول: "ولو

أن إنسان أخذ فَرخَي عصفور من وكره، ووضعتهما بحيث يراهُما أبواهما في منزلة، لوجد العصفور يقتحم في ذلك المنزل، حتى يدخُل في ذلك القفص، فلا يزال في تعهده بما يعيشه حتى يستغني عنه، ثم يحتملان في ذلك غاية التعزير والخطأ، وذلك من فرط الرقة على أولادهما"(١٨).

ويذكُر الجاحظ مجموعة من الفضائل للحيوان مثله مثل الإنسان بل أحيانًا يصور أخلاق الحيوان تفُوق الإنسان، فالكلب مثلاً يُحسن إلى صاحبه أكثر من الإنسان، فيقول: "أن أدق الناس حسًا وأرقهم ذهنًا وأحضرهم فهمًا، وأصحهم خاطرًا وأكملهم تجربة وعلمًا، لو رام الشيء الذي يحسنه الكلب في كثير من حالات الكلب لظهر له من عجزه وخرقه، وكلال حده وفساد حسه ما لا يعرف بدونه أن الأمور لم تُقسم على مقدار رأيه"(١٩).

ويسوق لنا الجاحظ العديد من القصص التي تُعبر عن فضيلة ووفاء الكلب الذي لم يترُك صاحبه في ضيقه بل وقف بجانبه، فقد وصفه في هذا الموقف بأنه أكثر وفاءً من الإنسان، ويُدلل الجاحظ على رأيه بقوله: "أن رجُلًا خرج إلى الجبان (المقابر) ينتظر ركابه فأتبعه كلب كان له، فضرب الكلب وطرده، وكره أن يتبعه، ورماه بحجر، فأبى الكلب إلا أن يذهب معه... فبينما هو كذلك إذ أتاه أعداء له يطلبونه بطائلة لهم عنده، وكان معه جار له وأخوه، فأسلماه وهربا عنه، فجُرح جراحات ورمى به في بئر غير بعيدة القعر... فالكلب يزحم ويَهرُّ، فما انصرفوا أبى رأس البئر؛ فما زال يعوي وينبث عنه، ويحثوا التراب بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسه، فتنفس وردت إليه الروح"(٢٠).

ويصف الجاحظ هذا العمل بأنه وفاء طبيعي وإلف غريزي ومُحاماة شديدة، وعلى معرفة وصبر، وعلى كرم وشكر، وعلى غناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع؛ لأن ذلك كله كان من غير تكلُف ولا تصنُع، فالكلب تصرف بغريزته وطبيعته، على العكس من الإنسان الذي ترك صاحبه وهرب دون أن يُقدم له أي مُساعدة(٢١).

ومن القصص أيضًا التي يسوقها الجاحظ تُعبر عن وفاء الكلب هو معرفة الكلب لصاحبه من وجهه مهما غاب عنه، فقد كان هُناك خادم يُطعم الكلب من حوالى عامًا،

ثم غاب أشهُرًا، وكان يعتقد أن الكلب سوف ينسى صاحبه إلا أنه عندما "أبصره قادمًا اعتراه من الفرح والبصبصة، والعواء الذي يدُل على السرور، وعلى شدة الحنين، ما لا يكون فيه شيء فوقه"(٢٢).

وتحت عنوان "الدفاع عن الكلب" يسوق الجاحظ دفاعًا مجيدًا حتى أنه حين يعرض رأيًا مُخالفًا يرفض فيه صاحبه الاعتراف بوفاء الكلب يكتفي الجاحظ بالسُخرية منه، دون مُناقشة أو دراسة، بل يقول إن صاحبه سيء الرأي يلبس الحق بالباطل، فيقول: "وأما قول القائل بأن من لؤم الكلب وغدره أن اللص اذا أراد دار أهله أطعم الكلب الذي يحرسهم قبل ذلك، مرارًا ليلًا ونهارًا، ودنا منه ومسح ظهره، حتى يثبت صورته، فإذا أتاه ليلًا أسلم إليه الدار بما فيها" فإن هذا التأويل لا يكون إلا نتيجة لسوء الرأي، فإن سوء الرأي يصور لأهله الباطل في صورة الحق، وفيه بعض الظلم للكلب(٢٣).

فهو يرفض الهجوم على الكلب، أو حتى وصفه بالخيانة واللؤم لأن لو للكلب عقل يُفكر به ويُدرك به حقائق الأشياء، فمن المُستحيل أن يخون صاحبه، فالكلب هُنا من وجهة نظر الجاحظ لا يخون بل الذي خدعه الإنسان، فيقول: "ولو كان للكلب آلة يعرف بها عواقب الأمور وحوادث الدهور وكان يوازن بين عواجلها وأجلها... ويختار أنقص الشرين وأتم الخيرين، ويثبت في الأمور ... ويعرف الحجة من الشبهة... ويثبت في العلة، ويخاف في زيغ الهوى وسرف الطبيعة لكان من كبار المكلفين، ومن رؤوس الممتحنين"(٢٤). فالكلب لا يملك العقل الذي يتدبر به الأمور ليختار أفضلهما، ولكن لديه الغريزة الطبيعية التي تدفعه للتصرُف الصحيح.

ولم يكتفى الجاحظ بذلك في ذكر فضائل الكلب، بل يصفه بفضيلة الصبر وقوة التحمُل على الرغم من وجود الجراح الشديدة فيه، فيقول: "هذا مع قلة السامة، والصبر على الجفوة، واحتمال الجراحات الشداد، وجوائف الطعان ونوافذ السهام. وإذا ناله ذلك لم يزال ينظفه بريقه؛ لمعرفته بأن ذلك هو دواؤه حتى يبرأ لا يحتاج إلى طبيب، ولا إلى مرهم ولا إلى علاج"(٢٥).

ويُعلي الجاحظ من شأن الكلب لأنه ذكر في القُرْآنُ الكَرِيم في سورة الكهف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ

ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۖ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾(سُورَةِ الكَهۡفِ: ١٨)، فهم لم يستصحبوا من جميع من يألف الناس ويرتفقون به، ويسكنون إليه، شيئًا غير الكلب، فهو الحيوان الوحيد الذي يُراعي صاحبه ويحمى مُلكه وأرضه، وقد نبأ عن حاله في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ ﴾(سُورَةِ الكَهۡفِ: ٢١: ٢٢).

وهذا دليل على أن الكلب رفيع الحال، نبيه الذكر، إذ جُعل رابعهم، وعطف ذكره على ذكرهم، واشتق ذكره من أصل ذكرهم، حتى كأنه واحد منهم، ومن أكفائهم أو أشباههم، أو مما يُقاربهم، ولولا ذلك لقال، سيقولون ثلاثة معهم كلب لهم، وبين قوله رابعهم كلبهم فرق بين وطريق واضح.

وقد ذكر الجاحظ أيضًا فضائل الحمام، وصفه بالنُبل وحُب الوطن وصيانة العهد فهو يقول في وفاء الحمام وإلف الوطن: "ومن كرم الحمام: الإلف والأنس والنزاع والشوق، وذلك يدُل على ثبات العهد، وصون ما ينبغي أن يُصان، وإنه لخُلق صدق في بنى آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق في بعض الطير"(٢٦).

فهذه الصفة إذا وجدت في البشر تكون صفة أخلاقية جميلة يتميز بها عن غيره، فكيف إذا وجدت في الطير، وقد أخبرنا الله ﴿ﷻ﴾ عن طبائع الناس في حُب الأوطان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا

وَأَبۡنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾(سُورَةُ البَقَرَةِ : ٢٤٦).

أما فضيلة القطة عند الجاحظ فهي الإيثار، وليس الشوق الى الحُرية كما كان يظُن المنفلوطي، لأنها تؤثر صغارها على نفسها حتى لو كانت جائعة: "وللهرة من الخُلق الذي يؤثر على نفسه، ولها فضيلة في ذلك... يُلقى إليها الشيء الطيب وهي جائعة فتدعو أولادها... ورُبما رموا إليها بقطعة من اللحم، فتقصد نحوها حتى تقف عليها، فإذا أقبل ولدها تجافت عنها، ورُبما قبضت عليها بأسنانها فرمت بها إليه بعد شم الرائحة وذوق الطعم(٢٧).

ومن ثم، يُعد الجاحظ بحق من أوائل العُلماء الذين درسوا سلوك الحيوانات وطُرق التعاون والتكافُل بينهم، وتوصل قبل أن يكتشف عُلماء السلوك في الوقت الراهن أن البشر يشتركون مع الحيوانات الأُخرى في بعض الطبقات الداخلية للسلوك الأخلاقي، فالحياة العاطفية للحيوانات لا تقل ثراء عن حياة الإنسان، فأثبت أن لدى الحيوانات أحاسيس ومشاعر وعواطف تحملها لغيرها، فهي تعيش حياة اجتماعية مُشابهة للحياة البشرية.

هُناك اهتمام واسع بالعاطفة للحيوانية، والعديد من الابحاث في هذا الصدد في الفكر المُعاصر، مثل كتاب مارك "الحياة العاطفية للحيوانات" (The Emotional Lives of Animals) وكتاب جوناثا بالكومبي المملكة الممتعة (Pleasurable Kingdom) فقد أفسح الميل إلى التركيز على عواطف (سلبية) مثل الخوف والألم والعدوان، المجال أمام اهتمام مُتزايد بالعواطف (الإيجابية) مثل الحُب والسعادة والمُتعة، والتجارب العاطفية المُعقدة مثل التقمُص الوجداني والأسى والغفران، ومن ثم أثبتت الأبحاث الحديثة ان الحياة العاطفية للحيوانات في صُلب المنظومة الأخلاقية الحيوانية ستُعطي دفعة لهذا العلم الجديد(٢٨).

وكما يختلف الناس في سلوكهم وأخلاقهم وتعاطفهم، فكذلك الحيوانات تختلف في طباعها وفضائلها، فبعضها يُعرف بالمكر والحيل والكيس والروغان، والفطنة والخديعة والرفق والتكسب والعلم بما يعيشه والحذر مما يُعطاه، وبعضها الأخر يُعرف بالثقافة

والصبر والعزم والمكر والجولان، ووضع تلك التدابير في مواضعها حتى لا ترى له طعنة ولا تُخطيء له وثبة"، وأما بعض ما يعرف بالنظر في العاقبة وبإحكام شأن المعيشة والأخذ لنفسه بالثقة، وبالتقدُم في حال المُهلة والادخار ليوم الحاجة[٢٩].

ورغم أن كتاب الحيوان خاص بدراسة أنواع الحيوان، فإن الجاحظ لم يغفل عن العلاقة الحميمة بين الإنسان والحيوان، فكثيرًا ما كان يتوقف للمُقارنة بين طبائع الإنسان وطبائع الحيوان من حيث أوجه الشبه بينهما، فيقول: ومما أشبه فيه الحمام والإنسان، أن ساعات الحضن أكثرها على الأنثى، وإنما يحضن الذكر في صدر النهار يسير، والأُنثى كالمرأة التي تكفل الصبي فتطعنه وتمرضه وتتعهده بالتمهيد والتحريك حتى إذا ذهب الحضن وانصرم وقته، وصار البيض فراخًا كالعيال في البيت يحتاجون إلى الطعام والشراب"[٣٠].

ثالثًا- لغة الحيوان:

لم يغفل الجاحظ أن للحيوان لُغةً يتواصل بها مع غيره من الحيوانات الأُخرى، وهذا التواصل يُعتبر سلوك هام من أجل أن يتكيف هذا الحيوان مع بيئته حتى يستطيع البقاء، فتحصل على حاجاتها، وإن كانت هذه اللُغة تختلف عن لُغة البشر، فيقول الجاحظ أن: (لها منطق تتفاهم بها حاجات بعضها إلى بعض، ولا حاجة بها إلى أن يكون لها منطقها فضل لا تحتاج إلى استعماله، وكذلك معانيها في مقادير حاجاته)[٣١].

وهُناك من يعترض على أن للحيوانات لُغةً ومنطق تتعامل به مع غيرها من الكائنات الأُخرى، إلا أن الجاحظ يُثبت أن للحيوان منطق ولُغة، واستدل على رأيه بأن (القُرْآنُ الكَرِيم فقد نطق بأنه منطق، والأشعار قد جعلته منطقًا، وكذلك كلام العرب)[٣٢].

وإذا زعم الإنسان أن لُغة ومنطق الحيوانات ليس بمنطق لأنهُ لا يفهم أحاديثهم قيل له (فأنت أيضًا لا تفهم كلام عامة الأُمم، وأنت إن سميت كلامهم رطانة وطمطمة فإنك لا تمتنع من أن تزعم أن ذلك كلامهم ومنطقهم، وعامة الأُمم أيضًا لا يفهون كلامك ومنطقك، فجائز لهم أن يخرجوا كلامك من البيان والمنطق، وهل صار ذلك

الكلام منهم بيانًا ومنطقًا إلا لتفاهمهم حاجة بعضهم إلى بعض، ولأن ذلك كان صوتًا مؤلفًا خرج من لسان وفُهِم.

ويذهب بلوطرخس Plutarch أن الاتفاقية البشرية فقط هي التي تجعل الحيوانات غير قادرة على النُطق، ولكن لكُل الكائنات الموجودة في الكون لُغة خاصة بها، فنحن نحرم الروح من الشمس والنور، ومن تلك النسبة التي ولدت في العالم لتستمتع بها، ومن ثم نتخيل أن الأصوات التي ينطقوها ليست هي سوى أصوات وضوضاء مُعينة غير واضحة، فللحيوانات أصوات ولُغة تُعبر بها عن رغابتهم واحتياجاتهم.(٣٣)

ويُقارن الجاحظ بين الإنسان والحيوان من حيث فهم لُغة كُلًا منهُما للأخر، فمثل أن الحيوان لا يفهم لُغتك كذلك فإن الإنسان لا يفهم لُغة الحيوان، (فإن كُنت لا تفهم من ذلك إلا البعض، فكذلك تلك الأجناس لا تفهم من كلامك إلا البعض، وتلك الأقدار من الأصوات المؤلفة هي نهاية حاجاتها والبيان عنها، وكذلك أصواتك المؤلفة هي نهاية حاجاتك وبيانك عنها.

(وعلى أنك قد تعلِّم الطير الأصوات فتتعلم، وكذلك يعلَّم الإنسان الكلام فيتكلم، كتعليم الصبي والأعجمي)، والفرق بين الإنسان والطير أن ذلك المعنى معنى يُسمى منطقًا وكلامًا على التشبيه بالناس، وعلى السبب الذي يجرى)(٣٤).

كما أنك هُناك أنواع من الحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان، فيُكلمها وتستطيع أن تفهم لُغة البشر وتتعامل معه من خلال لُغته، فالناس يُكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنانير وغيرها من أصناف الحيوانات التي سخرت لهم، بل أن هُناك أنواع من الحيوانات تستطيع أن تُقلد لُغة البشر مثل الببغاء الذي يُلقن ضروبًا من الكلام ويُحاكيه، فهو من بين أصناف الحيوانات التي تُلقن وتحكي لُغة البشر(٣٥).

ويستدل الجاحظ على إثبات اللُغة لدى الحيوانات من القُرْآنُ الكَرِيم، وهو قول الله ﴿ﷻ﴾ مُخبرًا عن سليمان: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾(سُوْرَةِ النَّمْلِ : ١٦)، فجعل ذلك منطقًا، وخص الله ﴿ﷻ﴾ سليمان بفهم معاني ذلك المنطق، وأقامه فيه مقام الطير، وكذلك لو قال عُلمنا منطق البهائم والسباع لكان ذلك آية وعلامة)(٣٦)

والنص السابق يُفيد أن للطير منطق ولُغة سخرها الله ﴿ﷻ﴾ لسيدنا سليمان، فقد كان يتعرف على لُغة الحيوانات، وسمع النملة عندما نبأت أصحابها بالخطر الذي يلحق بهم من سُليمان وجنوده، فيثبت الجاحظ أن للنمل لُغة يختص بها، ويستدل على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾(سُورَةُ النَّمۡلِ : ١٨ : ١٩)، ونستدل من الآية الكريمة على أن للنمل لُغة صوتية ونطق يخرج منها، فقد أخبر القُرْآنُ الكَرِيم أنها قد عرفت سُليمان وأثبت ذاته، فسُبحان الله العظيم فكيف لها أن عرفت أنه سُليمان وجنوده، وهذا إن دل فأنه يدُل أن لدى هذه الحشرة قُدرة عالية من الذكاء التي تتفوق به على غيرها من الكائنات، ويستعجب الجاحظ من قُدرة النمل العالية عندما قالت: (وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ) فمن أين لها معرفة هذا الشعور، فلا يملك الإنسان أما هذا الإعجاز إلا أن يسجد ويتدبر في عظمة مخلوقات الله ﴿ﷻ﴾[٣٧].

ومن ثم، فكيف لمُنكر أن يُنكر أن لهذه الكائنات لُغة ونُطق تتعامل به مع أصحابها، (والقُرْآنُ الكَرِيم يدُل على أن لها بيانًا، وقولًا، ومنطقًا يفصل بين المعاني ، فلعلها مُكلفة، ومُأمورة منهية، ومُطيعة عاصية)[٣٨].

وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة عن حياة النمل القائمة على التفاهُم فيما بينها، شأنها في ذلك شأن سائر الكائنات الحية كما جاء بالكتاب الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ (سُورَةُ الأَنۡعَامِ : ٣٨)، ولا تكون هذه المخلوقات أُممً إلا إذا كانت لها روابط مُعينة تحيا بها بوسائل خاصة للتفاهُم فيما بينها، وهو ما كشف عنه العلم في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحشرات والحيوانات[٣٩].

على هذا النحو تمكن الجاحظ أن يُسجل لنا معلومات ثمينة وثرية عن حياة الحيوان وطبائعه وسلوكه وخلقه قائمة على المُشاهدة والمُلاحظة والتجريب، لا يكاد يترُك منها حيوان إلا وقف عنده، واصفًا إياه ومُعللاً لسلوكه، سواء كان من الحيوان المُستأنس أو الوحشي، ومن الحقائق العامة التي رصدها، أن أغلب الحيوانات آكلة ومأكولة في آنٍ واحد، وأنها تتفاعل فيما بينها في إطار البيئة التي تعيش فيها، وأنها تفهم وتتعلم، ولها خبرات ومعارف ولُغة.

وكُل هذه الحقائق وغيرها مما ذكرهُ الجاحظ حقائق علمية سجلها عُلماء سلوك الحيوان، ولكن بوسائل وتقنيات مُبتكرة ومناهج علمية لم يعرفها عصر الجاحظ، ومع ذلك يظل فضل السبق والريادة له وهو يُعَدُّ بحق المؤسس الأول لعلم الحيوان في تاريخ الحضارة العربية مُنذ أكثر من ألف عام(٤٠).

فهو عين ما تُنادي به الجمعيات والمُنظمات التي ظهرت حديثًا تُدافع عن الحيوان وحقه في الحياة، وتُحاول أن تُثبت أن الحيوانات تتمتع بعوالم داخلية ثرية – حيثُ إن لديها مخزونًا مُعقدًا ومُتنوعًا من العواطف، إضافة إلى درجة عالية من الذكاء والمرونة السلوكية، كما انها كائنات فاعلة ماهرةً جدًا، إذ تُقيم شبكات علاقات مُعقدة وتُحافظ عليها، وتعيش بموجب قواعد سلوكية مُستمدة منها وتُحافظ على توازن دقيق واستقرار اجتماعي مضبوط(٤١).

ولكن على الرغم من أن الجاحظ ينسب للحيوان قدرًا من الذكاء، والُقدرة على التفكير في تدبير أمور حياته حتى يستطيع البقاء، إلا أنهُ يحفظ للإنسان مكانته وسط مخلوقات هذا الكون فلا يُغالي في نُصرة الحيوان على الإنسان، ولا يُقلل من قدر الإنسان في الكون الذي سخره له، ومن ثم فضله على سائر مخلوقاته بالعقل، فبالعقل يستطيع الإنسان القُدرة على الفعل، وهذا العقل هو الذي يجعله مسؤولًا عن أفعاله، فالفرق بين الإنسان والحيوان هو الاستطاعة والتمكين، (وفي وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة، وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة، وقد شرف الله ﴿ﷻ﴾ الجان وفضله على السبع والبهيمة بالذي أعطاه من الاستطاعة الدالة على وجود العقل والمعرفة، وقد شرف الله ﴿ﷻ﴾ الملائكة وفضلهم على الجان، وقدمهم على الإنسان

وألزمهم من التكليف على حسب ما خولهم من النعمة، وليس لهم صورة الإنسان ولم يخلقوا من النطف، ولا خلق أبوهم من التراب، إنما الشأن في العقل والمعرفة والاستطاعة)[٤٢].

فوجود العقل في الإنسان يترتب عليه وجود المعرفة والقُدرة على الفعل، والمُحاسبة عليه، ومن ثم فإن الفرق بين الإنسان والبهيمة، ليس هو الصورة، أو لأنه خُلق من نطفة، أو أن أباه خلق من تُراب، ولا لأنه يمشي على رجليه ويستطيع أن يقضي حوائجه بيديه، لأن هذه الخصال كُلها موجودة في البُله والمجانين والأطفال والمنقوصين[٤٣]، فالعقل هو الذي يُفرق بين الإنسان وبين كل هذه المخلوقات.

أفتظن أن الله ﴿ﷻ﴾ يخُص بهذه الخصال بعض خلقه دون بعض، ثم لا يُطالبهم إلا كما يُطالب بعض من أعدمه، فلما يُعطيه العقل إلا للاعتبار والتفكير في كُل ما سخر الله ﴿ﷻ﴾ له في هذا الكون، ولم يُعطيه المعرفة إلا ليؤثر الحق على هواه، ولم يُعطيه الاستطاعة؛ إلا لإلزام الحُجة والبُرهان، فيقول الجاحظ (هل فكرت في النحلة والعنكبوت والنملة، وأنت ترى الله تقدس وعز، كيف نوَّه بذكرها ورفع قدرها... فقف على صُغر النحلة وضعف أيدها، ثم ارم بعقلك إلى قول الله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ ﴾(سُورَةُ النَّحۡلِ: ٦٩).[٤٤].

ويقول الجاحظ أيضًا: ثم انظر إلى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾(سُورَةُ النَّمۡلِ: ١٨)، فما ترى في مقدار النملة ف عقل الغبي، وغير الذكي ؟! فانظر كيف أضاف الوادي إليها، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها، وخوفها ممن قد مكن، فإنك تجدها عظيمة القدر، رفيعة الذكر، قد عظمها في عقلك، بعد أن صغرها في عينك)[٤٥].

فالله ﴿ﷻ﴾ سخر للإنسان الكون بمخلوقاته ليس من أجل التعالي والتباهي على غيره، وليس من أجل استغلاله للكون وللحيوان بطريقةٍ سيئة، ولكن من أجل أن يتأمل

فيه بعقله ويستحضر عظمة خلق الله ﴿ﷻ﴾ في هذه الكائنات، فيسُجد لله حمدًا وشكرًا على عظيم عطاياه.

ومن هُنا، يُمكن القول أن الجاحظ يؤيد وجود السلوكيات الأخلاقية والعاطفية لدى الحيوان والكائنات الأُخرى سواء التي من جنسه أو من نوعه، ومن ثم يُدافع عن الحيوان وحقوقه بكُل الوسائل والطُرق ورفض اهانة الحيوان لأنهُ يشعُر ويتألم مثل الإنسان، فهو من بين المُتكلمين الذين جعلوا للحيوان مكانةً رفيعة لما يحُسنا على ذلك القُرْآنُ الكَرِيم، وأوصنا الرسول ﴿ﷺ﴾ بمُعاملة الحيوان مُعاملة حسنة، فالحيوان عُنصر مُهم من عناصر البيئة.

ولكن هذا الرأي لم يؤيده الجميع، فهُناك من جعل السلوك الأخلاقي خاص بالإنسان فقط دون أن يلحق ببعض الكائنات الأُخرى التي تعيش معهُ في نفس البيئة، فقد أعلن كانط أن الفاعل الحُر العقلاني وحده هو الذي يُمكنه أن يكون موضوعًا للقانون الأخلاقي حيث أن مثل هذا الفاعل وحده هو الذي يستطيع أن يتصور نفسه كغاية، ومن الواضح أنه ينتمي إلى منطق الوصف القائل بأن الفاعل الأخلاقي يجب أن يكون فاعلًا حُرًا، والحيوان لا يُمكن أن يكون حُر، ولكن فكرة القانون لا تعني أن الأشخاص وحدهُم هم الذين يكونوا موضوعًا للسلوك الأخلاقي، فقد يكون للكائن قيم أو غاية حتى لو لم يتمكن من تصور نفسه(٤٦).

ومن أصحاب هذا الاتجاه الفيلسوف الكبير – أمام عبدالفتاح أمام – الذي ناقش هذه القضية في بداية مقال نُشر في جريدة الأهرام، يقول في بدايته: (ما زلت أُكافح بكُل ما أوتيت من قوة لأقنع مُحدثي أن ما قالهُ شيخنا هيجل عين الصواب، وهو أن الحيوان يفتقر إلى الدين بقدر ما يفتقر إلى القانون والأخلاق، والواقع أن هيجل ينفي عن الحيوان مجموعة كبيرة من الخصائص الأساسية التي ينسبها للإنسان مثل اللُغة والوعي الذاتي– فليس في استطاعة الحيوان إدراك ذاته – والتفكير.. إلخ وفي ظني أن أوضح هذه الخصائص جميعها هي السلوك الأخلاقي، الذي ينبغي علينا أن نتفق في الحال أنهُ سلوك إنساني خالص)(٤٧).

من ثم يرى د. أمام عبدالفتاح أن الصفات الأخلاقية التي تُنسب إلى سلوك الحيوان لا يُمكن قبولها من الناحية الفلسفية، وذلك لأن الإنسان وحده من بين موجودات هذا العالم الذي يُمكن أن يوصف سلوكه بأنه أخلاقي أو غير أخلاقي ؟ فسلوك الحيوان لا يوصف بالفضيلة ولا بالرذيلة، ذلك لأن الفعل الخلقي لهُ سمات خاصة، ومواصفات وشروط مُعينة لا تتوافر عند غيره من الموجودات الأُخرى ومن هذه السمات ما يلي:

١- لابُد للفعل الأخلاقي أن يكون حُرًا، فإذا كانت الأفعال الأخلاقية تخضع للاستحسان إذا كانت فاضلة وخيره وللاستهجان إذا كانت رذلة أو شريرة، أعني إذا أمكن أن يكون هُنا ضرب من الثواب والعقاب بالنسبة للفعل الأخلاقي فإنه يشترط أن يكون لدى الكائن الذي صدر عنهُ هذا الفعل القُدرة علي الاختيار، بحيث أستحسنه إذا اختاره وكان فاضلًا أو أستهجنه إذا كان رذلًا.

فإذا كان فعل الحيوان غريزيًا أي ليس حُرًا فلا يُمكن أن يكون فعلًا أخلاقيًا وإنما هو من قبيل العمليات البيولوجية في الإنسان.!..

٢- ومن شروط الفعل الأخلاقي أيضًا أن يكون مقصودًا فلا يأتي اتفاقًا مع الأخلاق فإذا أكلت حتى شبعت بعد صوم يومً طويل ثم ألقيت بالطعام المُتبقي إلي جوار الحائط وجاء رجُل صائم يتضوع جوعًا وأكل وشبع أيكون سلوكي أخلاقيًا في هذه الحالة؟ كلا! حتى مع أنه أتفق مُصادفة مع الأخلاق إلا أن هذا الاتفاق لم يكُن مقصودًا!.

٣- ومن شروط الفعل الأخلاقي أيضًا أن يصدُر عن نية حسنة حتى إذا لم تتحقق هذه النية فالطبيب الذي هبط من منزله مُسرعًا لكي يُنقذ مريضًا لكنهُ تأخر في الطريق بسبب حادث في الطريق أو عُطل في سيارته أو غير ذلك من الأعطال الخارجة عن أرادته يظل فعلهُ أخلاقيًا حتى إذا وصل بعد وفاة المريض!

٤- وأخيرًا لابُد أن يكون فعلًا عاقلًا لا هو طبيعي ولا غريزي ولا حيواني.. إلخ أي باختصار فعلًا يقوم به إنسان(٤٨).

لا أتفق تمامًا، مع أُستاذنا في هذه المقولة وهي أن (الحيوان لا أخلاق لهُ كما أنهُ لا دين لهُ، ولا قانون)، ولكن أتفق مع ما جاء به الجاحظ في موسوعته العلمية عن

الحيوان، فالحيوان سلوكه سلوك غريزي، يتصرف بموجبه وهو مُماثل للعقل الموجود في الإنسان، هذا السلوك يُخضعهُ لمجموعة القواعد السلوكية التي تكون في عالمهُ الخاص، وذكر الجاحظ سلوكيات عديدة للحيوانات بعضها يوصف بالفضيلة والبعض الأخر بالرذيلة مُشابهة إلى حدًا ما مع السلوكيات الأخلاقية الموجودة في الإنسان، بل أحيانا كان يُعلي الجاحظ من الفضائل الموجودة في عالم الحيوان عن الإنسان.

وأثبت إلى جانب السلوك الغريزي للحيوان، جانب من الفطنة والذكاء للحيوان التي تجعلهُ يتعاون ويُشارك غيره من الكائنات أحيانًا وفق قواعد أخلاقية تحكُم عالمهُم، فذكر وفاء الكلب، وحنان وعاطفة العصفور على صغارها، ومكر ولُئم بعض الطيور والحيوانات، فأخلاق الحيوانات تتنوع بين الفضيلة والرزيلة، أي أن للحيوانات أخلاق، حتى ولو لم تكُن مُماثلة تمامًا للأخلاق البشرية، لأن الإنسان لديه العقل الذي ميزهُ به الله ﴿ﷻ﴾ على غيره من المخلوقات بالتالي سوف يُحاسب على أفعاله، ولكن الجاحظ يُساوي بين الحيوان والأطفال والمجانيين الذين لا عقل لهُم ولا يُحاسبون على أفعالهم، لأن الذي يُحاسب لابُد أن يكون مُدركًا لكُل الأمور.

ولكن ما يُدريك أن الحيوان لا يُحاسب، إلا إن عالم الحيوان لهُ أسرار عديدة لا يعلمها إلا الله ﴿ﷻ﴾ وحده، ومهما اكتشف الإنسان من أمور تخُص هذا العالم، إلا أن هُناك أسرار لم تُكشف بعد، ويقف الإنسان عاجزًا حيالها، لا يعلمها إلا الله ﴿ﷻ﴾، فيقول الله تعالى ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾(سُورَةِ التَّكْوِيرِ : ٥)، معنى ذلك أن الحيوانات تُبعث يوم القيامة مثل ما يُبعث الإنسان، فرُبما تُحاسب ورُبما تُكافئ على مُعاناته مع الإنسان ورُبما تُعاقب بعضهم على أفعالهم، فيكون الحشر بالثواب أو العقاب، فالله ﴿ﷻ﴾ وحده الذي يعلم مُصدقًا لما جاء بالكتاب الكريم قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦﴾(سُورَةِ المُلْكِ : ٢٦)، وعن أبي هُريرةَ ﴿ﷺ﴾ عن رَسولِ الله ﴿ﷺ﴾ قال: "لتُؤدُّنَّ الحُقوقَ إلى أهلِها يَومَ القيامةِ، حَتَّى يُقادَ للشَّاةِ الجَلحاءِ من الشَّاةِ القَرْناءِ" أخرجه مُسلم (٢٥٨٢) بلفظٍ مُقارب.

نعم، أن أخلاق الحيوان لا يُمكن أن تكون مُماثلة لأخلاق الإنسان التي تصدُر عن عقلً واعي وإدراك ذاتي، ولكن هذا لا يمنع مُطلقًا من أن لدى الحيوان أخلاقيات

وسلوكيات يتصرفوا فيها فيما بينهم، وفق قواعد تحكُم عالمهُم، فهذه الحيوانات كما ذكر الله ﴿ﷻ﴾ في كتابه: (أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) وذكر الجاحظ العديد من الأدلة كما سبق أن ذكرنا أن الحيوان لديه سلوكيات أخلاقية يُمكن أن توصف بالفضيلة والرزيلة مُماثلة لأخلاق البشر وطباعهم.

لكنه لم يجعل الحيوانات كائنات مسؤولة أخلاقيًا، "لأن المسؤول أخلاقيًا هو الذي يختار بملء إراداته التصرُف بطريقةٍ مُعينة دون الأُخرى على أن يُعد مسؤولًا عن أفعاله"(٤٩)، لكن الجاحظ وضع الحيوانات في مرتبة الأطفال والمرضى العقليين الذين لا يتحملون مسؤولية أفعالهم، لأنه مُدرك تمامًا أن العقل هو الذي يُميز بينهم، إلا أنه لا ينفي عن الحيوانات أنها تُشارك الإنسان في بعض السلوكيات مثل التعاون والتعاطُف والعدالة بغريزتها التي فطرها الله ﴿ﷻ﴾ عليها، فالقول بأن للحيوانات أخلاقيات مُشابهة لأخلاقيات الإنسان لا يعني المُماثلة تمامًا، لأن الحيوان يُشارك الإنسان في النوع وليس الدرجة، ومن ثم لا تكون المُماثلة بنفس الدرجات، لكن باختلاف الدرجات وفقًا لأنواع وترتيبات فالإنسان هو الذي يكون في المُرتبة الأولى ويأتي من بعده الحيوان ثم النبات ثم الجماد، فالأقرب في النوع هو الحيوان إذن فالأخلاق لدى الحيوان مُختلفة في درجتها لا في نوعها عن الأخلاق الإنسانية إذن المُماثلة ليست بالضبط بينهم لأنها مُشابهة بالأخلاق الإنسانية.

بناءً عليه، إن الزعم بأن الحيوانات تتمتع بمسؤولية أخلاقية لا يعني القول بالتماثُل بطبيعة الحال، يقول بول شابيرو مؤيدًا هذا الرأي: "من السذاجة أن نؤكد على أن الحيوانات كائنات مسؤولة أخلاقيًا بدرجة المسؤولية نفسها التي يتصف بها الإنسان الراشد"، فالمسؤولية الأخلاقية خاصة بالأنواع والسياقات، وعلاوة على ذلك، فالحيوانات كائنات مسؤولة أخلاقيًا في السياق المحدود لمُجتمعاتها، إن لديها القُدرة على تشكيل ردود أفعالها السلوكية تجاه بعضها البعض، بناءً على تفسير ثريٍّ عاطفيًا ومعرفيًا لتعامُل اجتماعي بعينه، فأخلاق الذئاب تعكس ميثاق الشرف الذي يوجه سلوك الذئاب داخل مُجتمعها، فالذئاب كائنات مسؤولة أخلاقيًا فقط في هذا السياق، وسلوكها الافتراسي غير أخلاقي، أي لا يوجد ما يدينه(٥٠).

ومن ثم لا يُمكن أن ننفي مُطلقًا سلوك الحيوان ونساوي بينه وبين سلوك الجماد الذي ليس لديه مرحلة من مراحل الإحساس والشعور، فكيف نُشبه هذا الكائن الذي لا يكتمل الكون إلا بوجوده بالجماد الذي لا يتحرك ولا يشعُر ولا يتألم، فالإنسان يشترك مع – الحيوانات كما سبق أن ذكرنا – في البنية التشريحية والآليات الفسيولوجية، ومن ثم يتماثل الإنسان مع الحيوان.

وفي النهاية، يذهب مارك بيكوف وجيسيكا بيرس: (إن معرفة أخلاق الحيوانات من حيث أُسسها الإدراكية والشعورية، والسلوكيات الاجتماعية والتعاونية لهو مجال جديد نسبيًا، وستُساعد الأبحاث المُستمرة في علم السلوك والسلوك الحيواني والبيولوجيا على حل بعض الألغاز العلمية، وفي الوقت نفسه، فقد بدأنا في فهم المزيد والمزيد حول الأساس العصبي للأخلاق البشرية، وهو الأمر الذي يُسلط الضوء على الخلافات الفلسفية طويلة الأمد كدور العاطفة والإدراك في تشكيل السلوك الأخلاقي، ولقد بدأ عُلماء السلوك وعُلماء الأعصاب وخُبراء علم النفس المعرفي بالتعاون مع الفلاسفة لفهم عالم الحيوانات القريب منا بل وأنفسنا)[٥١].

إلا أن الجاحظ بحق يُعد من أوائل علماء السلوك، الذي صنف أخلاق الحيوان وفقًا للسلوكيات الشعورية والسلوكيات التعاونية بين الحيوان، فهو أول من أشار إلى نظرية التكافُل والمُشاركة الحيوانية بين الحيوانات التي تعيش في بيئة واحدة – كما سبق أن ذكرنا – على من أن الجاحظ من عُلماء القرن الثالث الهجري، وذكر كُل هذه القضايا في موسوعته العلمية عن الحيوان، إلا أن هذا العلم يحتاج إلى مزيد من الأبحاث العلمية والاكتشاف التي تُساعد في الفهم المُتزايد لهذا العالم المليء بالأسرار الذي لا يعلمها إلا الله ﴿ﷻ﴾.

وتتشابه رؤية الجاحظ لعالم الحيوان مع رؤية ما جاء بيه كُلًا من مارك بيكوف وجيسيكا بيرس في كتابهما "العدالة في عالم الحيوان"، حيث ذهبوا إلى "أن لهذه الحيوانات عوالم داخلية تتمتع بها، حيث إن لديها مخزونًا مُعقدًا ومُتنوعًا من العواطف، بالإضافة إلى درجة عالية من الذكاء والمرونة السلوكية، كما أنها كائنات فاعلة ماهرة

جدًا، إذ تُقييم شبكة علاقات مُعقدة وتُحافظ عليها وتعيش بموجب قواعد سلوكية مُحددة تُحافظ على توازن دقيق واستتباب (استقرار) اجتماعي مضبوطة جدًا"[٥٢].

خاتمة

ومن اهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

أولًا– يُعد الجاحظ من أوائل العُلماء الذين درسوا سلوك الحيوانات وطُرق التعاون والتكافُل بينهم، وتوصل قبل أن يكتشف عُلماء السلوك في الوقت الراهن أن البشر يشتركون مع الحيوانات الأُخرى في بعض الطبقات الداخلية للسلوك الأخلاقي، فالحياة العاطفية للحيوانات لا تقل ثراء عن حياة الإنسان، فأثبت أن لدى الحيوانات أحاسيس ومشاعر وعواطف تحملها لغيرها، فهي تعيش حياة اجتماعية مُشابهة للحياة البشرية.

ثانيًا– درس الجاحظ الحيوان من الناحية السيكولوجية والسلوكية والشعورية حتى يؤكد على ضرورة الرفق بالحيوان ومعاملته معاملة حسنة لما في هذا الكائن من معجزات مدهشة يعجز العقل البشري عن استيعابها، لكنه في نفس الوقت حفظ للإنسان مكانته وتميزه على غيره من الكائنات الحية بالعقل الذي يتدبر به في كل مخلوقات الله عزو جل، ويسجد شكر لله من قدرة وعظمة الخالق، بالإضافة إلى أن العقل يحث على ضرورة الرفق بالحيوان ولا يؤذيه.

ثالثًا– خلق الحيوان في هذه الصورة وعلى هذا الشكل لا يعني مطلقا اهانته أو التقليل من شأنه ، وخلق الإنسان بهذه الصورة لا يعني التباهي والتكبر والفساد في الأرض في كل ما سخره الله له، ولكن سوف يحاسب الإنسان على أفعاله تجاه هذه المخلوقات. فلا الإنسان جعل نفسه بهذه الصورة، ولا الحيوان اختار لنفسه ذلك، فكل المخلوقات خلقت بهذه الهيئات لحكمة لا يعلمها إلا الله وحده ، لذلك أوجب على الإنسان ذا العقل والتمكين والاستطاعة والتصريف، وذا التكليف والتجربة، صاحب الفهم والمسابقة، والمتبصر في شأن العاقبة أن يتدبر ويتأمل ويفكر في مخلوقات الله عزوجل.

رابعًا– ميز الله الإنسان بالعقل عن غيره من الكائنات حتى يكون كائنًا مسؤولا أخلاقيا ودينيا على جميع أفعاله تجاه الآخر سواء كان الآخر إنسان أو حيوان. في مقابل الغريزة التي لدى الحيوان التي تحكم فعله وتصرفاته تجاه غيره من الحيوانات الأخرى. ومن ثم يثبت الجاحظ أن لدى الحيوانات وعي معرفي تشابه فيه الإنسان

الأمر الذي يفسر أن للجاحظ فضل السبق في مجال دراسة الحيوان وسلوكه وتعامُلاته مع الحيوانات الأُخرى، وذكر فضائله ومحاسنه سواء إن وصف فعله بالخير أو الشر، أعطى مكانة كبيرة للحيوان وأوجب عدم إهانته وضرورة الرفق به لأنه كائن يحس ويشعُر ويتألم مثل الإنسان، بل وصفه بصفات يتشابه فيها مع الإنسان.

الهوامش

(١) محفوظ عزام: الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٥، ص١١-١٣

(٢) الجاحظ: كتاب الحيوان، شرح وتحقيق: عبدالسلام هارون، ج١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٩٦٥، ص١٤-١٦.

(٣) عمارة فاطمة الزهراء: كتاب الحيوان للجاحظ أول موسوعة علمية عربية في علم الحيوان، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، العدد١٢، جانفي، ٢٠١٩م، ص١٣٠- ١٣٦، ص١٣٢.

(٤) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج١، مقدمة المحقق، ص١٤

(٥) محمد كشاش: لغة الحيوان، " دراسة في أنظمة علامات التواصل وآليات التعبير"، المكتبة العصيرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٩٥.

(٦) مارك بيكوف وجيسيكا بيرس: العدالة في عالم الحيوان "الحياة الأخلاقية للحيوانات، ترجمة: فاطمة غنيم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط١، الأمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠م، ص١٣.

(٧) أحمد حماد الحسيني: سلوك الحيوان، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠م، ص١٢: ١٣

(٨) إمام عبدالفتاح إمام: فلسفة الأخلاق،، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢١: ٢٢.

(٩) نفس المرجع السابق، ص٢١: ٢٢.

(١٠) محمد كشاش: لغة الحيوان " دراسة في أنظمة علامات التواصل وآليات التعبير"، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٩٥.

(١١) محفوظ عزام: الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ، مرجع سابق، ص١٢٩.

(١٢) راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٣٣.

(١٣) مارك بيكوف وجيسيكا بيرس: العدالة في عالم الحيوان، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(١٤) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٢، ص١١٢.

(١٥) محفوظ عزام: الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ، ص١٨

(١٦) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٢، ٣٢٨.

(١٧) إمام عبدالفتاح إمام: فلسفة الأخلاق، ص٢٣.

(١٨) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٥، ص٢١٢.

(١٩) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٢، ص ١١٦.

(٢٠) نفس المصدر السابق، ص١٢٢.

(٢١) نفس المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢٢) نفس المصدر السابق، ص١٢٨

(٢٣) امام عبد الفتاح امام: فلسفة الأخلاق، مرجع سابق ص٢٦: ٢٧.

(٢٤) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٢، ص١٤٤.

(٢٥) نفس المصدر السابق، ص١٧٥.

(٢٦) الجاحظ: تهذيب الحيوان، ص٨٣. وانظر أيضا الجاحظ: كتاب الحيوان، ج ٣، ص ٢٢٧.

(٢٧) امام عبد الفتاح: فلسفة الأخلاق، ص ٢٣: ٢٤

(٢٨) مارك بيكوف وجيسيكا بيرس: العدالة في عالم الحيوان، ص١٠٣.

(٢٩) الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ، ص١٣٠: ١٣١. وانظر الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٧، ص ١٠٨.

(٣٠) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٧، ص١٨.

(٣١) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٧، س٥٦.

(٣٢) نفس المصدر السابق،، ص٥٧.

(33) LennE.Goodman and Richard Mcgregor(2009): Analysis of The Case Of The Animals Versus ManBefore The King Of The Jinn A Translation From The Epistles Of The Brethren Of Purity,p.41

(٣٤) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٧، ص٥٨.

(٣٥) نفس المصدر السابق، ص٢١٨.

(٣٦) نفس المصدر السابق، ج٧، ص ٥٨.

(٣٧) نفس المصدر السابق، ج٤، ص٩.

(٣٨) نفس المصدر السابق، ج٤، ص٩.

(٣٩) أحمد فؤاد باشا: رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٧٥.

(٤٠) حلمي خليل: لغة الحيوان وطبائعه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص٤١.

(٤١) مارك بيكوف و جيسيكا: العدالة في عالم الحيوان، مرجع سابق، ص٢٧.

(٤٢) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج٥، ص٥٤٣

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص ٥٤٢

(٤٤) نفس المصدر السابق،، ص٥٤٣: ٥٤٤.

(٤٥) نفس المصدر السابق، ج٥، ص٥٤٥.

(46) LennE.Goodman and Richard Mcgregor(2009): Analysis of The Case Of The Animals Versus ManBefore The King Of The Jinn A Translation From The Epistles Of The Brethren Of Purity,p37.

(٤٧) إمام عبدالفتاح أمام: أخلاق الحيوان، مقال منشور بجريدة الاهرام، العدد ٤٦١٦٩، ٣مايو ٢٠١٣م على الرابط التالي:

https://gate.ahram.org.eg/daily/News/207919.aspx

(٤٨) إمام عبدالفتاح إمام: فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، ونظر أيضا إمام عبدالفتاح أمام: أخلاق الحيوان، مقال منشور بجريدة الاهرام.

(٤٩) مارك بيكوف، وجيسيكا بيرس: العدالة في عالم الحيوان، ص ٢٨٣.

(٥٠) نفس المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٥١) نفس المرجع السابق، ص ٢٩٦.

(٥٢) مارك بيكوف وجيسيكا بيرس: العدالة في عالم الحيوان " الحياة الأخلاقية للحيوانات"، ترجمة: فاطمة غنيم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث "كلمة"، ط١، الأمارات العربية والمتحدة.، ص ٢٦.

Abstract:

Animals are living beings having souls that feel, experience pain, and empathize, just like humans. They have their own world and language through which they communicate with other animals. Allah Almighty said: “And there is no creature on the earth nor a bird that flies with its wings but that they are communities like you. We have not neglected anything in the Book, then to their Lord they will be gathered.” (Surah Al-An'am:38).

Based on the above, the present research investigates one of the most important philosophical issues, not only in contemporary environmental ethics but also in applied philosophical thought, which is how to ethically treat animals in a compassionate manner. Such an issue is crucial after humans have subjected animals to experiments that disregard their bodily sanctity and threaten their existence.

Although such issues are contemporary and controversial in applied ethical thought, they have been discussed for a long time. Even before the emergence of contemporary philosophical movements and human rights organizations advocating for animal rights and equality with humans, Islam has been a pioneer in establishing religious and ethical legislations regarding animal rights, and Muslim thinkers have followed the teachings of Islam to highlight the rights of animals. Al-Jahiz is one of the thinkers focusing on both studying animals and advocating for their rights. Al-Jahiz (775-868), one of the early scholars of theology and a prominent figure of the Mu'tazila school, is one of the first to explore the world of animals and uncover its secrets. Kitab al-Hayawan" (The Book of Animals) is considered the first Arabic scientific encyclopedia on zoology in which Al-Jahiz gives animals significant importance, studies their behavior and virtues, and sometimes compares them to human behavior. However, Al-Jahiz’s research on the rights of animals is tackled from a different approach because he believes that animals have moral behaviors and virtues through which they communicate with others, whether human or animal companions. He calls for the "humanization" of animals or the ethics of animals to show the importance of animals in this world and to prove that they have rights that should be respected. Moreover, he calls for treating these creatures in a compassionate and kind way.

Keywords: Environmental Ethics – Animal Rights – Animal Ethics – Al-Jahiz.